- سَمَاحَةَ الأُستَاذِ الدُّكتُورِ/ أَحمَدِ الطَّيِّبِ، فَضِيلَةِ الإِمَامِ الأَكبَرِ لِلأَزهَرِ، وَرَئِيسِ مَجلِسِ حُكَمَاءِ المُسلِمِينَ.
- السَّادَةُ الزُّمَلَاءُ وَالأَصدِقَاءُ.
- السَّيِّدَاتُ وَالسَّادَةُ.
أَشعُرُ بِالفَخرِ الشَّدِيدِ لَأَن أَكُونَ أَحَدَ المُتَحَدِّثِينَ الرَّئِيسِيِّينَ فِي الجَلسَةِ الافتِتَاحِيَّةِ لِتِلكَ النَّدوَةِ الدَّولِيَّةِ حَولَ:الإِسلَامِ وَالغَربِ: التَّنَوُّعِ وَالتَّكَامُلِ» هُنَا فِي القَاهِرَةِ.
كَمَا أَوَدُّ أَن أُعرِبَ عَن شُكرِي وَامتِنَانِي لِمُنَظِّمِي هَذِهِ النَّدوَةِ الفَرِيدَةِ، وَخَاصَّةً حُكَمَاءَ المُسلِمِينَ مِن جِهَةٍ، وَمَركَزَ نِظَامِي الدَّولِي مِنَ الجِهَةِ الأُخرَى.
إِنَّ مَوضُوعَ نَدوَةِ اليَومِ-التَّنَوُّعَ وَالاندِمَاجَ- فِي غَايَةِ الأَهَمِّيَّةِ فِي عَالَمِنَا، وَقَبلَ كُلِّ شَيءٍ يَبقَى قَلبَ السِّيَاسَةِ الدَّولِيَّةِ، وَفِي هَذَا الصَّدَدِ تُعَدُّ النَّدوَةُ ذَاتُهَا مُهِمَّةً لِلغَايَةِ لَيسَ فَقَط بِالنِّسبَةِ لِلشَّرقِ الأَوسَطِ بِل لأُورُوبَّا كَذَلِكَ.
فِي الوَاقِعِ، مُنذُ عُقُودٍ عَدِيدَةٍ كَانَ مِنَ الشَّائِعِ فِي عَدِيدٍ مِنَ البُلدَانِ أَن تَكُونَ هُنَاكَ ثَقَافَةٌ وَاحِدَةٌ وَشَعبٌ مُوَحَّدٌ، إِلَّا أَنَّ عَمَلِيَّةَ الاختِلَاطِ -وَخَاصَّةً عَن طَرِيقِ الهِجرَةِ - قَد أَدَّت إِلَى تَغيِيرِ هَذَا الوَضعِ، بَل وَإِلَى عَكسِهِ. وَهُنَاكَ طَرِيقَتَانِ مُختَلِفَتَانِ لِقَبُولِ الجَمَاعَاتِ المُهَاجِرَةِ دَاخِلَ الأَغلَبِيَّةِ الغَربِيَّةِ؛ وَهُمَا: طَرِيقَةُ الاستِيعَابِ، وَطَرِيقَةُ الاندِمَاجِ.
الطَّرِيقَةُ الأُولَى: هِيَ عَمَلِيَّةُ استِيعَابِ الأَقَلِّيَّاتِ فِي مُجتَمَعِ الأَغلَبِيَّةِ، وَهَذِهِ عَمَلِيَّةٌ أُحَادِيَّةُ الاتِّجَاهِ؛ حَيثُ إِنَّ مُجتَمَعَ الأَقَلِّيَّةِ مُطَالَبٌ فِيهَا بِأَن يَتَعَلَّمَ عَادَاتِ وَتَقَالِيدَ وَثَقَافَةَ مُجتَمَعِ الأَغلَبِيَّةِ، وَيَتَخَلَّى عَنِ العَادَاتِ وَالتَّقَالِيدِ وَالثَّقَافَةِ الخَاصَّةِ بِهِ، أَو يَقُومَ بِتَعدِيلِهَا لِتُصبِحَ مَقبُولَةً مِن جَانِبِ الأَغلَبِيَّةِ، وَيَكُونُ هَذَا الاستِيعَابُ إِمَّا طَوَاعِيَةً أَو قَسرًا عَن طَرِيقِ التَّعلِيمِ أَوِ الأَنشِطَةِ الاجتِمَاعِيَّةِ أَوِ المُشَارَكَةِ فِي الثَّقَافَةِ السَّائِدَةِ، كَمَا يَتَرَاوَحُ مَا بَينَ احتِوَاءٍ سِلمِيٍّ إِلَى آخَرَ عَنِيفٍ.
وَيُؤَدِّي هَذَا الاستِيعَابُ فِي المُجتَمَعَاتِ المُسلِمَةِ المُهَاجِرَةِ اليَومَ إِلَى تَولِيدِ نَزعَةٍ لِإِقصَاءِ الآخَرِ أَوِ الانعِزَالِ الذَّاتِيِّ، وَهُوَ مَا يُشَكِّلُ فِي حَالَاتٍ عَدِيدَةٍ مَنظُومَةَ تَغذِيَةٍ لِلتَّطَرُّفِ. كَمَا تَشمَلُ بَعضَ الأَسبَابِ الأُخرَى؛ مِثلَ ارتِفَاعِ

مُعَدَّلَاتِ البَطَالَةِ وَالفَقرِ، وَمُعَايَشَةِ أَشكَالٍ عَدِيدَةٍ لِلتَّمييزِ العُنصُرِيِّ كُلَّ يَومٍ، وَيَشمَلُ ذَلِكَ التَّوقِيفَ المُتَكَرِّرَ مِن جَانِبِ الشُّرطَةِ، وَيَشمَلُ ذَلِكَ أَيضًا عَوَامِلَ اجتِمَاعِيَّةٍ ثَقَافِيَّةٍ، مِثلَ الفَصلِ التَّعلِيمِيِّ وَالثَّقَافِيِّ، وَانعِدَامِ المُسَاوَاةِ فِي الحُصُولِ عَلَى الخِدمَاتِ العَامَّةِ، وَالفَصلِ الاجتِمَاعِيِّ المَكَانِيِّ، أَو صُورَةٍ مِن صُوَرِ تَشكِيلِ «جيتو» حَدِيثٍ أَو تَمييزٍ عُنصُرِيٍّ اجتِمَاعِيٍّ مِن خِلَالِ كَافَّةِ أَشكَالِ الإِقصَاءِ .. إِلَخ.

الطَّرِيقَةُ الثَّانِيَةُ: وَهِيَ الاندِمَاجُ، تُمَثِّلُ عَمَلِيَّةً مُتَبَادَلَةً أَو ثُنَائِيَّةَ الاتِّجَاهِ؛ حَيثُ يَكُونُ هُنَاكَ تَأثِيرٌ مُتَبَادَلٌ بَينَ كِلتَا الثَّقَافَتَينِ كَتَمهِيدٍ لِقَبُولِ ثَقَافَةِ الأَقَلِّيَّةِ وَالمَزجِ بَينَهَا وَبَينَ ثَقَافَةِ مُجتَمَعِ الأَغلَبِيَّةِ. وَهِيَ عَمَلِيَّةٌ تَتَطَلَّبُ قَبُولَ القَوَانِينِ وَالمَعَايِيرِ الأَخلَاقِيَّةِ الخَاصَّةِ بِالدَّولَةِ المُضِيفَةِ مِن جَانِبِ مُجتَمَعِ الأَقَلِّيَّةِ دُونَ أَن يَتَخَلَّى مُجتَمَعُ الأَقَلِّيَّةِ عَن تَقَالِيدِهِ وَنَمَطِ حَيَاتِهِ وَهُوِيَّتِهِ الثَّقَافِيَّةِ. وَعِندَمَا يَحدُثُ هَذَا يَكُونُ قَد وَقَعَ تَعدِيلٌ لِكِلتَا الثَّقَافَتَينِ؛ حَيثُ تَتَلَقَّى ثَقَافَةُ الأَقَلِّيَّةِ شَيئًا مَا مِن ثَقَافَةِ الأَغلَبِيَّةِ لِتَكُونَ جُزءًا مِن ثَقَافَةِ الأَغلَبِيَّةِ مَعَ الاحتِفَاظِ بِهُوِيَّتِهَا.

وَفِي الأَعوَامِ الأَخِيرَةِ وَمَعَ تَسَارُعِ عَمَلِيَّةِ العَولَمَةِ فَإِنَّ الحَلَّ الأَمثَلَ لِلسُّكَّانِ المُختَلِطِينَ ذَوِي الثَّقَافَاتِ المُتَعَدِّدَةِ هُوَ فَرضُ المَفهُومِ الحَدِيثِ لِلتَّعَدُّدِيَّةِ الثَّقَافِيَّةِ وَتَطوِيرُهُ، وَمِن ثَمَّ فَإِنَّ سِيَاسَةَ الاستِيعَابِ الَّتِي بَدَأَت مُنذُ عُقُودٍ فِي إِطَارِ التَّعَامُلِ مَعَ المُهَاجِرِينَ فِي عَدِيدٍ مِنَ البُلدَانِ الغَربِيَّةِ سَيَحُلُّ مَحَلَّهَا، أَو يَجِبُ أَن يَحُلَّ مَحَلَّهَا سِيَاسَةُ الاِندِمَاجِ، وَلَكِنَّ ذَلِكَ لَم يَعُد كَافِيًا اليَومَ، مِن وِجهَةِ نَظَرِي.

فِي الوَاقِعِ، إِنَّ أَحَدَ الأَهدَافِ الجَدِيدَةِ لِلسِّيَاسَةِ هُوَ النَّظَرُ الجِدِّيُّ وَالتَّوجُّهُ الحَقِيقِيُّ نَحوَ التَّعَدُّدِيَّةِ، وَهُوَ مَا يُسَمَّى بِالتَّعَدُّدِيَّةِ الثَّقَافِيَّةِ؛ حَيثُ يَجرِي فِي ظِلِّ ثَقَافَةِ الأَغلَبِيَّةِ - أَي ثَقَافَةِ أَغلَبِيَّةِ السُّكَّانِ - الاحتِوَاءُ المُخلِصُ وَالجِدِّيُّ لِثَقَافَاتِ الأَقَلِّيَّاتِ مِنَ المُهَاجِرِينَ الوَافِدِينَ الَّذِينَ يَجرِي استِقبَالُهُم.

وَفِي ظِلِّ العَولَمَةِ السَّائِدَةِ فِي عَالَمِ اليَومِ، تَنطَوِي هَذِهِ المُقَارَبَةُ التَّعَدُّدِيَّةُ الثَّقَافِيَّةُ عَلَى مُحَاوَلَاتٍ لِخَلقِ الوِحدَةِ بِالاستِنَادِ إِلَى الاختِلَافَاتِ؛ حَيثُ التَّمَسُّكُ بِالثَّقَافَاتِ الفَرعِيَّةِ لِلأُمَّةِ الَّتِي تَتَّسِمُ بِالتَّنَوُّعِ، وَالاشتِرَاكِ فِي القِيَمِ

العَامَّةِ. وَمِن نَوَاحٍ كَثِيرَةٍ، يَبدُو أَنَّ أَفضَلَ الحُلُولِ هُوَ المُجتَمَعُ التَّشَارُكِيُّ القَائِمُ عَلَى التَّمَاسُكِ وَالشُّمُولِ، وَلَيسَ عَلَى الانقِسَامِ وَالإِقصَاءِ.
وَفِي رَأيِي، يَنبَغِي أَن تَتَرَكَّزَ بَعضُ الوَاجِبَاتِ الرَّئِيسَةِ لِلمُجتَمَعِ التَّشَارُكِيِّ عَلَى الاضطِلَاعِ بِمَسؤُولِيَّةِ ضَمَانِ تَعزِيزِ التَّمَاسُكِ الاجتِمَاعِيِّ دَاخِلَ الهَيَاكِلِ الحُكُومِيَّةِ أَو خَارِجَهَا؛ وَضَمَانِ الفُرَصِ الحَقِيقِيَّةِ المُتَكَافِئَةِ لِلأَقَلِّيَّاتِ وَالطَّوَائِفِ المُهَمَّشَةِ؛ وَضَمَانِ إِجرَاءَاتِ وَآلِيَّاتِ تَشجِيعِ التَّوفِيقِ بينَ المَصَالِحِ المُتَبَايِنَةِ المُختَلِفَةِ فِي المُجتَمَعِ؛ وَتَوفِيرِ الإِطَارِ القَانُونِيِّ لِحِمَايَةِ حُقُوقِ الفَردِ، وَحَظرِ التَّمييزِ عَلَى أَسَاسِ الاختِلَافِ العِرقِيِّ أَوِ الدِّينِيِّ أَوِ الجِنسِيِّ أَوِ الثَّقَافِيِّ؛ وَإِتَاحَةِ الفُرَصِ المُتَسَاوِيَةِ لِلحُصُولِ عَلَى الفُرَصِ وَالمَوَارِدِ؛ وَالتَّقلِيلِ إِلَى أَدنَى حَدٍّ مِن صُوَرِ المُعَانَاةِ الاقتِصَادِيَّةِ الَّتِي تُوَاجِهُ القِطَاعَاتِ المُجتَمَعِيَّةَ الَّتِي تَتَعَرَّضُ لِلتَّمييزِ؛ وَتَوفِيرِ وَتَعزِيزِ الفُرَصِ لِضَمَانِ كَونِ البِيئَاتِ الوَاقِعِيَّةِ تُشَجِّعُ التَّفَاعُلَ الاجتِمَاعِيَّ عَلَى المُستَوَيَينِ المَحَلِّيِّ وَالوَطَنِيِّ؛ وَضَمَانِ وُجُودِ نِظَامٍ تَعلِيمِيٍّ يُوَفِّرُ فُرَصًا مُتَسَاوِيَةً لِتَطوِيرِ المَعَارِفِ وَالمَهَارَاتِ وَالقُدُرَاتِ وَالعَلَاقَاتِ اللَّازِمَةِ لِلأَطفَالِ ؛ لِكَي يُصبِحُوا أَفرَادًا مُنتِجِينَ وَمُشَارِكِينَ فِي المُجتَمَعِ.
وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى الاِلتِزَامِ بِإِيجَادِ مُجتَمَعٍ تَشَارُكِيٍّ، وَيُدَرِّبُ الأَطفَالَ عَلَى تَقَبُّلِ الآخَرِينَ وَاحتِرَامِهِم. كَمَا يَشمَلُ ذَلِكَ أَيضًا تَعزِيزَ احتِرَامِ وَفَهمِ وَتَقدِيرِ التَّنَوُّعِ الثَّقَافِيِّ وَالدِّينِيِّ وَالعِرقِيِّ؛ وَدَعمَ المُجتَمَعَاتِ المَحَلِّيَّةِ فِي استِكشَافِ هُوِيَّتِهَا، وَتَقَاسُمِ خِبرَاتِهَا مَعَ الطَّوَائِفِ ذَاتِ الهُوِيَّاتِ الأُخرَى؛ وَالعَمَلِ مَعَ تِلكَ الطَّوَائِفِ عَلَى تَعزِيزِ الاهتِمَامَاتِ المُشتَرَكَةِ، وَالحَدِّ مِنَ التَّوَتُّرَاتِ وَالعَدَاءِ فِيمَا بَينَهَا، وَذَلِكَ لِضَمَانِ حِمَايَةِ أَفرَادِ جَمِيعَ الطَّوَائِفِ مِنَ الإِسَاءَةِ وَالتَّرهِيبِ وَالعُنفِ. وَأَنَا شَخصِيًّا أُؤمِنُ كُلِّيًّا بِهَذَا النَّوعِ مِنَ المُقَارَبَاتِ وَذَلِكَ فِي إِطَارِ مَفهُومِ المُجتَمَعِ التَّشَارُكِيِّ.
وَفِي خِتَامِ كَلِمَتِي: أَتَمَنَّى النَّجَاحَ لِهَذَا المُنتَدَى، وَآمَلُ مِن قَلبِي أَن نَستَمتِعَ جَمِيعًا بِالنِّقَاشَاتِ وَالتَّفَاعُلَاتِ فِيمَا بَينَنَا اليَومَ وَعَلَى مَدَى اليَومَينِ التَّالِيَينِ.
شُكرًا عَلَى حُسنِ استِمَاعِكُم

***